خاتمة المطاف .. !!

للأستاذ محمد رشدى

— كثيرة حقا ياصديقى أطايب الحياة وملذاتها .. ولكنى لن أترسم خطوك بعد الآن ، فاستمتع أنت بأطايبها كيف تشاء ، واقتنص من لذائذها كما يحلو لك ، وثق أنك ستدفع الثمن فى يوم ما ..

— سحقا لك ولتفكيرك السقيم .. ماذا ترى فى سيدساقه لنا الشيطان ، هل ترانا نرتكب جريمة بذهابنا إليها .. لقد رأيتها بعينى رأسك ، أنوثة مبكرة ، وجسدا ناضجا غضا ، وجمالا آسرا خلابا .. تخيل أنك تعصرها عصرا بين ذراعيك ، وتضغط صدرها الناهد .. لتتحطم مقاومتك التى لا أجد مبررا لها ويستقيم تفكيرك ، فتجد أنك تخطئ فى مخاوفك التى ذهبت إليها .. هيا بنا ، ولا تكن جبانا رعديدا تخاف اشياء لا وجود لها . إنها تقطن وحدها .. وهى التى دعتنى إلى منزلها .. وأنا بدورى أدعوك لمرافقتى .. إن الساعة المرتقبة توشك أن تحين ، فهيا .. فالشوق يكاد يقتلنى ...

— وفر عليك مشقة إغرائى .. فلم يعد معسول قولك ، وتشويق ، ليفيدا معى .. فاليك منى ، واذهب وحدك ، فقد عاد إلى صوابى ، وثبت إلى رشدى .. فدعنى أكفر عن آثامى التى اقترفتها بسببك .. ليتنى دققت عنقك منذ عرفتك ..

— ها .. ها .. ها ... إيك وايم الحق تدهشنى كثيرا .. فقد أصبحت عنيدا صعب المراس .. ثق أنك لن تجد الفرصة التى تكفر فيها عن آثامك . سأذهب إذن وحدى ، وأتركك لأفكارك ، وهى كفيلة بالقضاء على عنادك وإصرارك .. إن إقتناص اللذة أصبح من مستلزمات حياتنا ، وأنت .. فلا تحاول الاستنجاد بإرادة حطمتها عشرون عاما ، قضيتها غارقا لأذنك فى الأثم والرذيلة ...

— وأنت ... ألا تذكر ؟

فتمهل قليلا كأنما يستجمع شوارد ذهنه .. ثم قال ..

— أجل ... أذكر .. إن صورة باهتة لها مازالت عالقة بذهنى .. لم تكن كهؤلاء اللاتى عرفتهن .. قد باعت جسدها لمن سبقنى ودفع الثمن .. كانت نقية طاهرة الذيل إلى أن عرفتنى ...

— إنك معدوم الضمير .. لقد دفعتها إلى التخلص من ثمرة فعلتك المنكرة ثم قضيت عليها بقسوتك وإعراضك .. !!

— نعم . أخبرتنى بذلك . ولكن ما شأنى بذكريات أدرجها تعاقب السنين فى لفائف العدم ، وتراكم عليها غبار تسعة عشر عاما انقضت . لقد مات الماضى ياصديق ، فدعنا منه .. وإلى اللقاء عند « سلوى » الراقصة الحسناء ..

— لتذهب إلى الشيطان ، فان نلتقيا ثانية .. لقد عقدت العزم على الرحيل بعيدا عنك ..

— كما يحلو لك ... آه .. نسيت أن أترك لك العنوان . وانتزع من مفكرته ورقة قذف بها إلى صديقه وهو يتابع فى برود وعدم اكتراث :

— هاك العنوان .. وحذار أن تتأخر كثيرا ، فسنكون فى انتظارك ...

وغادره وصدى ضحكاته الساخرة يرن فى أذنيه ...

وصاح « جلال » به يستمهله .. ولكن صوته لم يصل إلى سمعه .. فاختطف معطفه وغادر المنزل بدوره

... وهناك على الفراش .. كانت الفتاة مستلقية فى استرخاء ، وقد ارتدت غلالة رقيقة ، يشع من تحتها بريق القتنة الطاغية ، وسحر الجسد البديع التكوين ، وعبق جو الحجرة برائحة عطر نفاذة تدر الرؤوس ، وتخدر الأعصاب .. وعلى قيد خطوة من

الفراش ، وقف « كمال » بقوامه الفارع ، وجسمه الرشيق الفتى.. برغم أنه يحمل على كاهله عبء أربعين عاما سلخها من حياته ..

ونهضت الفتاة فى استرخاء عجيب ، ولم تلبث أن قفزت من الفراش فى رشاقة وخفة ، وطبعت على شفتيه قبلة خاطفة ، وأسرعت بالابتعاد قبل أن تنطبق عليها ذراعاه ، ويهصر عودها الرطب بين أحضانه .. وراحت تنثنى وتنفرد أشبه بحية تتلوى وهى تدور فى الحجرة راقصة منتشية ، وقد لمعت عيناها ببريق عجيب ...

وفارق « كمال » ثباته ، وثارت مشاعره ، واستيقظت غرائزه البهيمية فراح يضيق عليها الخناق حتى تمكن من الإمساك بها.. وجذبها إليه فى عنف ، ورغبة جامحة .. فكاد يحطم عظامها . ولكنه ما عتم أن تراخت ذراعيه ، وتخلى عن الجسد الغض الطرى الذى كان يدفئ أحضانه ... واستقرت نظراته الملتهبة على تلك الدمية الجميلة التى ابتدعت على عجل ، ولاذت بالحائط ترتعد كريشة فى مهب ريح صرصر عاتية . وتعالت واستجمع أشتات أنفاسه .. واقترب منها مترنحا أشبه بسكير شرب حتى طفح وقد امتدت ذراعاه المتخاذلتان ، محاولا أن ينال عنقها ، فيزهق روحها الخبيثة . ولكن قواه خانته ، وتخلت عنه ، فهوى يتلوى من الألم وقد ندت عنه صرخة قهر وكمد .

ودبت الحركة فى جسد الفتاة الجامدة .. فاندفعت إلى الأمام تصرخ فى صوت مختنق متحشرج ، وقد أذهلتها رؤية الدماء .. فتلقفتها ذراعان خارج الحجرة ، وعادت بها إلى الداخل .. وارتفع صوت « جلال » يسأل فى عجب : ماذا حدث يا ... !؟ بيد أن الكلمات ماتت على شفتيه ، وارتسمت حدقتاه فزعا وهو يرى صديقه منكفئا على وجهه وقد غاص بين كتفيه خنجر حتى مقبضه ..

وتهافتت « سلوى » على الفراش مضمضمة الحواس ، خائرة القوى ودفنت وجهها بين راحتيها ، وقد شملت بدنها رعدة عنيفة .. وراحت تهذى كالمحمومة :

— لقد قتلته .. أجل قتلته يا أماه .. فلعلك الآن راضية فى مثواك الأخير .. كانت رغبتك أن أنتقم لك ، وها قد انتقمت.. فانهضي لترى أى منقلب انقلب ذلك الفاسق ... لقد غرر بك ، وتركك تنوئين بعبء العار والفضيحة تسعة عشر عاما ، قضيتها فى عذاب مر أليم ... لقد ظلت صورته منطبعة فى ذاكرتى من خمس سنين مضت منذ آخر لقاء كان بيننا ، حين انهال عليك ضربا فى قسوة ووحشية وغادرك ، مقسما أنك لو عدت إليه ليقتلنك شر قتلة ، ولكنك لم تكونى فى حاجة إلى العودة إليه ، فقد فاضت روحك فى تلك الليلة ، وتركتنى فتاة لم تتجاوز الخامسة عشر بعد .. لا يعرف ذلك العربيد عنها شيئا ، ولا يعلم بوجودها ... فأقسمت أن أنتقم لك منه ، ولو كرست حياتى كلها لذلك ... ولقد فعلت ... فليرحمنى الله ... !!

وزاد ارتعاد جسدها ، وعلا صوت نحيبها المؤلم ، وتشنجها المكتوم . وانبعث صوت ضعيف واهن ، كأنه آت من أغوار سحيقة ، فيه مرارة وفيه تساؤل وعجب :

— سلوى ... إبنتى

ولكن القضاء لم يمهله ، ولم يتريث به ليقول شيئا آخر ... فسكنت حركته إلى الأبد

ورددت جنبات الحجرة دقات حزينة منتظمة ، كانت أشبه بأجراس قوية تدق فى ذلك المكان الرهيب .. تعلن بأن الليل قد انتصف

واقترب « جلال » من الجثة المسجاة .. وانحنى على الجسد الماثل أمامه بين ذراعيه ، وتريث قليلا ينظر إلى الفتاة ، وقد انحدرت على خده دمعة كبيرة .. وقال فى صوت متهدج برح به التأثر :

— لقد انتهى .. مات صديق .. ولكنه منحنى الفرصة التى أكفر فيها عن آثامى .. فأنا ذاهب ، أجل ذاهب لأنال الجزاء .. فما أحقنى به منك

وتنفس عميقا ، وكأنما أزيح عن صدره عبء ثقيل .. ثم دار على عقبيه وغادر الحجرة بجسده الثمين .. !!

منصور

محمد رشدى